رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 11- سورة محمد | من الأية 23 إلى 53

عبدالرحمن العجلان

لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين - 00:00:01

لهم الهدى من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله - 00:00:29

لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم هذه الايات الكريمة من سورة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت بعد قوله جل وعلا ام حسب الذين في قلوبهم مرض الا يخرج الله اظغانهم - 00:01:02

ولو نشاء لاريناك هم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاق الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى - 00:01:40

لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يقول الله جل وعلا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله كفروا في انفسهم وصدوا الناس عن سبيل الله عن طريق الهدى منعوا الناس عن الدخول في الاسلام - 00:02:17

هناك كافر في نفسه ولا يتعرض للاخرين وكافر يتعرض للمسلمين ويؤذيهم ويتعرض لمن اراد من الكفار ان يسلم فيمنعه هذا اشد واعظم جرما لانه كفر بنفسه وصد منع الناس عن الدخول في دين الله - 00:02:46

وهذا من دخل في دين الله وصدوا عن سبيل الله وشاق الرسول عاندوا وعارضوا واذوا الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى كان هذا الاذى والصد عن سبيل الله - 00:03:22

بعد ما ظهرت لهم البينات وبانت لهم المعجزات بصدق محمد صلى الله عليه وسلم يعني فعلوا هذه الافعال الشنيعة وهم يعلمون ويعرفوننا يقينا ان محمدا رسول الله يعرفون ذلك ففعلوا هذه الافعال - 00:03:54

بعد ما تبين لهم الهدى الحق وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته هؤلاء يحسبون انهم يضرون الله او يضرون الرسول صلى الله عليه وسلم والحقيقة والواقع انهم يظرون انفسهم - 00:04:22

بهذا الفعل انفسهم والا فالله جل وعلا لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي والرسول صلى الله عليه وسلم سينصره الله جل وعلا لا محالة ويرد عنه كيد الكائدين - 00:04:50

ولن تؤثر فيه الا شيء اراده الله جل وعلا فهو واقع لا محالة ودين الله ظاهر لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم هم يظنون ان لهم اعمال تنفعهم كاطعام الجائع مثلا وكسوة العاري - 00:05:14

والاحسان وفعل ما يفعلون من صلة الرحم ومن اكرام الضيف ومن الافعال الحسنة التي هي محمودة في الاسلام لكنها لا تنفعهم هذه في الدار الاخرة لان اي عمل يعمله المرء في الدنيا لا يعمله في لا ينفعه في الاخرة الا اذا كان مقرونا - 00:05:44

بالايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم اما بدون ايمان فلا ينفع الاعمال التي عملوها في الدنيا ظاهرها الحسن هابطة هابطة بالدار الاخرة. والا فقد يثيبهم الله جل وعلا عليهم في الدنيا - 00:06:12

المال والصحة والولد والجاه العمل الذي يعمله المرء حسنا ان كان مؤمنا انتفع به في الدنيا والاخرة او انتفع به في في الاخرة واما اذا

لم يكن مؤمنا فانه لا ينتفع به في الاخرة وانما ينتفع به في الدنيا فقط - 00:06:38
وسيحبط اعمالهم وقد يقال فيها معنى اخر وسيحبط اعمالهم يعني هم شاقوا الرسول عاندوه وكادوه وابرموا وخططوا الخطط وحاكوا الامور فيما بينهم برد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاعمال التي يجتمعون لها - 00:07:08
ويؤكدونها ويظنون انهم مدركون بها ما ارادوا سيحبطها الله جل وعلا تكون حابطة كما احبط جل وعلا اعمالهم وتخطيطهم وما فعلوه ليلة خروج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا تشاوروا ورتبوا على ان يقضوا على النبي صلى الله عليه وسلم - 00:07:45
تلك الليلة واتفقوا على ان يحظر عشرة من الشبان مع كل واحد منهم سيف فاذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم من داره ضربوه ضربة رجل واحد حتى يتفرق دمه في القبائل - 00:08:17
في قبائل قريش في بيوت قريش فلا تستطيع بنو هاشم ان تحارب قريشا كلها وظنوا انهم مدركون ما ارادوا لانهم ظنوا ان هذا في وسعهم وليس شيئا مستحيل ولا صعب - 00:08:37
والعشرة جلسوا بالفعل امام الباب متى ما خرج ضربة رجل واحد خرج صلى الله عليه وسلم من بينهم وذر على رؤوسهم التراب ومضى نعم الله ابصارهم وبصائرهم فما رأوه وسيحبط اعمالهم - 00:08:56
سواء كانت هذه الاعمال تخطيط لرد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم والقضاء عليه او هي اعمال يرجون ثوابها يرجون ثوابها لا يحصل لهم شيء في الدار الاخرة لن يضروا الله شيئا - 00:09:22
وسيحبط اعمالهم. تكون حابطة لا قيمة لها ثم ان الله جل وعلا امر عباده المؤمنين الحذر من صفة الكافرين الظالمين وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم - 00:09:45
اولئك الرسول صدوا عن سبيل الله وشاق الرسول وانتم ايها المؤمنون اطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه واطيعوا الرسول لانه مبلغ عن الله جل وعلا وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله - 00:10:15
لانه عليه الصلاة والسلام معصوم لا يأمر الا بما فيه طاعة لله جل وعلا يا ايها الذين امنوا المتصفون بهذه الصفة صفة الايمان وكثيرا ما ينادي الله جل وعلا عباده بقوله يا ايها الذين امنوا - 00:10:41
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك فانه اما خير تؤمر به او شر تنهى عنه انتبه لانك مخاطب بهذا الخطاب - 00:11:04
اطيعوا الله واطيعوا الرسول. كرر الفعل في اطيعوا الرسول من باب التأكيد اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم لا تبطلوا اعمالكم بماذا العلماء رحمهم الله فيها اقوال كثيرة لا تبطلوا اعمالكم يعني لا تبطلوا حسناتكم - 00:11:23
لماذا بالمعاصي كما قال الحسن البصري رحمه الله ولا تبطلوا اعمالكم بالكبائر. كما قال الزهري رحمه الله لا تبطلوا اعمالكم بالرياء والسمعة كما قال الكلبي وابن جريج لا تبطلوا اعمالكم بالمن - 00:11:57
كما قال مقاتل لا تبطلوا اعمالكم بالنفاق والشرك اقوال لكنها كلها ترجع الى معنى واحد لا تبطلوا اعمالكم بما يسخط الله جل وعلا لا تبطلوا اعمالكم باسخاط الله جل وعلا. بالتعرظ لغظب الله - 00:12:26
بمعصية الله الشرك او النفاق او بالرياض والسمعة او باقتراف كبائر الذنوب والوقوع فيها او اي عمل يسيء الى ما يعمله المرء من طاعة لله جل وعلا فيفسد عليه طاعته - 00:12:55
فعن ابي العالية رحمه الله قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يظر مع لا اله الا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل - 00:13:22
حتى نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم حتى نزلت هذه الاية فخافوا ان يبطل الذنب العمل وفي لفظ فخافوا الكبائر ان تحبط اعمال لهم - 00:13:39
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى انه ليس شيء من الحسنات الا مقبول حتى نزلت هذه الاية فلما نزلت قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا - 00:14:06

وقلنا الكبائر الموجبات والفواحش وكنا اذا رأينا من اصاب شيئا منها قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. فلما - 00:14:27

نزلت كففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا احدا اصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجوناها يعني وجؤنا له الخير الصحابة رضي الله عنهم وارضاهم - 00:14:48

كانوا يظنون ان جميع اعمالهم مقبولة وكل من عمل عمل فانه مقبول لا محالة وكانوا يظنون انه لا يظر مع التوحيد عمل سيء مهما كان ما دام فيه توحيد كما لا ينفع مع الشرك اي عمل - 00:15:13

فلما نزلت هذه الاية ولا تبطلوا اعمالكم يقول خفنا ان هناك شيء يبطل العمل وقلنا الكبائر تحبط الاعمال او تبطلها فانزل الله جل وعلا تصحيحا لذلك ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - 00:15:38

الكبائر اذا تاب منها العبد في الدنيا تاب الله عليه واذا مات مصرا عليها فلا يخلو ان كان شرك فهذا لا يغفره الله وصاحبه خالد مخلد في النار. لان الشرك اكبر الكبائر - 00:16:03

وان كان دون الشرك فهو داخل تحت المشيئة انشاء جل وعلا غفره لعبده من اول وهلة وادخله الجنة وان شاء عاقبه على ذنبه هذا ثم اخرجه من النار وادخله الجنة بفظله وبتوحيد العبد - 00:16:24

هذا مذهب اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة الطائفة الضالة يقولون ان الكبائر تحبط الاعمال كلها وصاحبها خالد مخلد في النار في الدار الاخرة ولهذا تجرأوا والعياذ بالله على تكفير عدد من الصحابة رضي الله عنهم وارضاهم - 00:16:50

صحابة الذين رضي الله عنهم وارضاهم وشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة تجرأوا فكفروهم نسبوا اليهم شيئا من الامور فكفروهم بها والعياذ بالله ومذهب اهل السنة وسط بين مذهب المكفرين بالكبائر - 00:17:24

وبين مذهب المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان مهما كانت الذنوب فانها لا تظر واهل السنة والجماعة وسط بين الطائفتين وصاحب الكبيرة يخاف عليه لكن لا يحكم بكفره ولا يحكم بخلوده في النار - 00:17:49

ولا يقال انه كالمؤمن كامل الايمان يقال فاسق صاحب الكبيرة لكن لا يحكمون بخلوده في النار وانما هو مستحق للعقاب ان عاقبه الله جل وعلا وان عفا الله جل وعلا عنه بتوحيده وايمانه بالله - 00:18:18

الله جل وعلا اهل للمغفرة والعفو استدل بهذه الاية بعض الفقهاء رحمهم الله ومنهم ابو حنيفة رحمه الله قال اذا دخل المسلم في نافلة فلا يقطعها صلاة او صيام او صدقة نواها وعزم عليها - 00:18:41

لا يقطعها لان الله جل وعلا يقول ولا تبطلوا اعمالكم وانت دخلت في طاعة فلا تبطلها يقول نعم لو ما جاء الا هذه الاية فهم منها هذا لكن قول الجمهور خلاف ذلك - 00:19:13

يقولون من دخل في نافلة فله اتمامها وله قطعها الا الحج والعمرة لان الله جل وعلا قال واتموا الحج والعمرة لله فمن دخل في نافلة حج او نافلة عمرة وجب عليه اتمامها. ولا يجوز قطعها كالفريضة - 00:19:40

اما سائر الاعمال فاذا دخل في صلاة مثلا نافلة واراد قطعها فلا اثم عليه لكن اتمامها افضل دخل في صيام نفل فاراد قطعه فلا اثم عليه والدليل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم - 00:20:11

دخل على عائشة رضي الله عنها فذكرت له انه اهدي اليهم حيسة طعام فقال ارنيه واكل منه صلى الله عليه وسلم وقال لقد اصبحت صائما فاكل منه وافطر وحديث اخر - 00:20:38

النبي صلى الله عليه وسلم ثم ناوله لام هانئ بنت ابي طالب اخت علي رضي الله عنهما فاخذته وشربت وقالت لقد اصبحت صائمة لكني كرهت ان ارد سؤرك يعني فظل معك الذين ناولتني كرهت ان اردهم فشربته وهي صائمة - 00:21:00

وقال عليه الصلاة والسلام ان كان واجبا فاقضي يوما بدله وان كان نفلا فان شئت فاقضي وان شئت فلا فدل هذا على ان من دخل في نفل فله اتمامه وذلك افضل - 00:21:35

وان اراد الخروج منه فلا حرج عليه في ذلك يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسل وساقة وارتد عن الايمان من بعد

ما تبين له الهدى انه لن يضر الله شيئا - 00:21:58
وانما يضر نفسه ويخسرها يوم ميعاده وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله فليحبطه ويمحقه بالكلية كما ان الحسنات يذهبن السيئات وقد قال الامام محمد ابنوا نصر - 00:22:23
في كتاب الصلاة عن ابي العالية قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنون انه لا يضر مع لا اله الا الله كما لا ينفع مع الشرك عمل - 00:22:47
ونزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم تخافوا ان يبطل ان يبطل الذنب العمل ثم روي من طريق عبد الله ابن المبارك عن ابن عمر قال كنا معشر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:23:03
نرى انه ليس شيء من الحسنات الا مقبول حتى نزلت اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم وقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا وقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - 00:23:25
فلما نزلت عن القول في ذلك وكنا نخاف على من اصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصيبها يقول الله جل وعلا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم - 00:23:54
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار في من هذه الاية قيل في المنافقين وقيل في اليهود وقيل في اصحاب القليب ببدر الكفار كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر ورموا في القليب - 00:24:22
فهم ماتوا وهم كفار هؤلاء مجزوم في حقهم في انهم محرومون من المغفرة ودلت هذه الاية بمفهومها ان من كفر وصد عن سبيل الله ثم تاب واناب ان الله جل وعلا يغفر له - 00:24:53
مع الايات الاخر في قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار لان من هؤلاء الذين نزلت فيهم الايات السابقة الكفار منهم من اسلم - 00:25:21
كان من كفار قريش وكان من المشاقين للنبي صلى الله عليه وسلم والمعاندين ثم من الله جل وعلا عليه بالاسلام فاسلم فهو لم يمت كافرا وانما مات مسلما فالله جل وعلا يغفر له - 00:25:45
اما هؤلاء الذين ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ثم امر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والاخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للاعمال - 00:26:00
ولهذا قال ولا تبطلوا اعمالكم اي بالردة ولهذا قال بعدها ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - 00:26:23
الشرك اذا مات عليه العبد لا يغفره الله جل وعلا واما سائر الذنوب فهي داخلة تحت المشيئة وهؤلاء ماتوا كفار فلن يغفر الله لهم ثم قال جل وعلا فلا تهنوا - 00:26:49
وتدعو الى السلم او السلم قراءتان سبعيتان وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم فلا تهنوا الوهن الضعف لا تضعفوا امام الكفار حتى وان كانوا اكثر منكم واقوى في العدة - 00:27:16
واكثر في العدد فانتم معكم الله جل وعلا. والله معكم ولا تهنوا وتدعوا الى السلم المسالمة والمعاهدة نهى الله المسلمين بان يدعو وان يبدأوا الكفار بطلب الصلح لان من بدأ - 00:27:47
بطلب الصلح يعتبر ضعيفا ما طلب الا لضعفه والله جل وعلا يقول للمؤمنين لا تبدأوا الكفار انتم بالصلح نطلب منهم الصلح ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم لما منعه الكفار من دخول مكة في عام الحديبية - 00:28:15
الكفار طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الصلح. واصطلح معهم لم يطلبه النبي صلى الله عليه وسلم وانما هم طلبوا ذلك فقال بعض العلماء هذه الاية نهي للمسلمين عن ان يطلب الصلح مع الكفار مطلقا - 00:28:41
وهي ناسخة لقوله جل وعلا وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله قال اخرون الامر بالعكس هذه الاية فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون هذه منسوخة بقوله جل وعلا وان جنحوا للسلم فاجنح لها - 00:29:09

يعني ان طلبوا منك ذلك فاقبل منهم في واحدة منهما لان كل واحدة دلت على معنى وهذه الاية نهي للمؤمنين عن طلب الصلح مع الكفار في حال قوة المسلمين لا تطلبوا منهم ذلك - 00:29:42
ولا تظهر لهم الضعف ثم انطلبوا منكم فلا يخلو الحال ان رأيتم انهم اكثر منكم عددا واقوى منكم عدة اخوانا في الصلح معهم مصلحة للمسلمين فصالحوهم وان رأيتم خلاف ذلك فلا تقبلوا منهم - 00:30:07
واما الاية الاخرى وان جنحوا للسلم فاجنح لها فهذه نزلت في قوم خاصين امر صلى الله عليه وسلم بان يصطلح معهم في هذا الامر ثم بين جل وعلا السبب في نهية - 00:30:28
لعباده المؤمنين عن الضعف والوهن والخضوع امام الكفار قال والحال انكم انتم الاعلون انتم على الحق وهم على الباطل انتم ان حصل عليكم هلاكم في الدنيا بسببهم فانتم شهداء عند الله احياء - 00:30:47
والهالك منهم في النار انتم الاعلون حتى وان غلبوكم في فترة من الفترات والله جل وعلا يبتلي عباده المؤمنين في امور جل وعلا وهو يعلم السر واخفى ويعلم ما سيكون. لكن ليظهر الامر الذي يستحقون عليه - 00:31:16
ثوابا والعقاب يبتلي عباده المؤمنين بما شاء جل وعلا لكن العاقبة للمتقين ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. ومن كان الله معه فهو الغالب حتى وان قتل وان قتل ما يعتبر مغلوب لانه فاز بالشهادة عند الله جل وعلا - 00:31:43
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم. الا خوف عليهم ولا هم يحزنون - 00:32:10
وانتم الاعلون لكم العلو والاسلام يعلو ولا يعلى عليه والعاقبة لكم والله معكم ومن كان الله معه فهو المنصور لا محالة وهو المعان والله معكم ولن ياتي راكم اعمالكم. لن يحرمكم - 00:32:28
وتر في اهله وماله يعني كأنما فقد اهله وماله يقال هذا الرجل موتور اذا قتل له قتيل فلم يحصل له ان يأخذ بدمه لن يتركم لن يحرمكم سيثيبكم على اعمالكم - 00:32:58
ولن يتركم اعمالكم لن يحرمكم منها وانتم الاعلون لكم العلو في الدنيا ولكم العلو في الاخرة عند الله جل وعلا والاعلون قال اهل اللغة لامها محذوفة لان لامها واو والاصل وانتم الاعلون - 00:33:21
فيها واوان الواو الاولى هي لام الكلمة على يعلو والواو الثانية هي واو جمع المذكر السالم فاجتمع الواو الاولى فتحت مفتوحة ومفتوح ما قبلها فقلبت الف تحركت وانفتح ما قبلها فقلبت الف - 00:33:51
فاجتمعا ساكنان الالف ساكنة والواو واو المذكر السالم ساكنة وحذفت الاولى فصارت وانتم الاعلون. بدل الاعلون لانه واوان وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم يعني اعمالكم محفوظة لكم موفورة مثابون عليها - 00:34:22
ثم قال لعباده المؤمنين فلا تهنوا اي لا تضعفوا اي لا تضعفوا عن الاعداء وتدعو الى السلم اي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم - 00:34:53
ولهذا قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون اي في حال علوكم على عدوكم جملة وانتم الاعلون بمنزلة الحال والحال انكم الاعلون وكذلك الجملة التي تليها والله معكم كلها حالان وانت الحال انكم الاعلون والحال ان الله - 00:35:16
معكم فاما اذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة الى جميع المسلمين ورأى الامام في المعاهدة والمهادنة مصلحة فله ان يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صده كفار قريش - 00:35:43
عن مكة ودعوه الى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فاجابهم الى ذلك والله معكم فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الاعداء ولن يتركم اعمالكم اي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم اياها بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيء - 00:36:05
الله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:36:37